﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢﴾ [الجاثية: 12]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

القرآن إنعام محض على العباد

لمّا ذكَرَ أنَّ القرآن هدى، فهو أعظم النّعم وأجلُّها على النّاس، ولمّا ذكر صفة الرّبوبيَّة التي تؤذن بكثرة إحسانِه ونعمِه ذكر بعضَ آثار نعمِه الأخرى التي سخّرها للنّاس وما فيها من آياتِه الدالَّة على وحدانيَّته فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ﴾[1].

وأيضًا لمّا أخبر الله تعالى أنَّ القرآن هدى، وذكر وصف الرّبوبيَّة في قولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ﴾ أشعر بأنَّ تلك الآيات وذلك الهدى لم يكن إلّا لمحض الإنعام، والكافرون عكسوا القضيّة، فكفروا بدل الشُّكر ولذلك جيء بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ تقريرًا لظهور إنعامِه تعالى واستحقاقِه الشّكر وتتميمًا لتقريع الكافرين على كفرانِهم نِعَمَ الله تعالى وعدم شكرِها[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَخَّرَ﴾: أصلُ (سخر) يدُلُّ على احتقارٍ واستِذلالٍ، من ذلكَ قولُنا: سَخَّرَ اللهُ ﷻ الشَّيء، وذلك إذا ذَلَّلَه لأمْرِه وإرادته[3]، ويُقال: سَخَرَتِ السَّفينَةُ إذا أطاعت وطابَ لَها السَّيْرُ، وتَسَخَّرْتُ دابَّةً لِفُلانٍ: رَكِبْتُها بغَيْر أجْرٍ[4]، ومن البابِ: سَخِرتُ منه، إذا هزِئت

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 75.
(2) الطيبي، حاشية على الكشاف: 14/ 244، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 142.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سخر).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (سخر).

به[1]، والمقصودُ بالتَّسخير في الآية: التَّذليلُ والطّاعةُ، أي: سياقةٌ إلى الغرضِ المختصِّ قهرًا.

2) ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾: أصلُ (بغي) طَلَبُ الشَّيء، تقول: ابتغَيتُ الشَّيءَ، وبَغَيْتُهُ، أيْ: طلبتُه[2]، الابْتِغاءُ: الاجْتِهادُ في الطَّلَبِ[3]، وهو أيضًا: الإرادَةُ والقَصْدُ، يُقالُ: ابْتَغَيْتُ الأجْرَ في عَمَلِي، أي: قَصَدْتُهُ، ويأتي بِمعنى الاتِّخاذ، تَقول: ابْتَغَيْتُ البَيْتَ سَكنًا لِي، أيْ: اتَّخَذْتُهُ[4]، والمقصود بالابتِغاءِ في الآيةِ: الطَّلَبُ بِجِدٍّ، أي: طلَب ما في طلَبه كلفة ومشقَّة.

3) ﴿فَضْلِهِۦ﴾: أصلُ (فضل) يدلُّ على زيادةٍ في شيءٍ، من ذلك الفَضْلُ: الزِّيادةُ في الشَّيءِ[5]، سواءً كان محمودًا أو مذمومًا، واستعمالُه في المحمودِ أكثرُ، يُقالُ: فَضَلَ الشَّيءُ فَضْلًا، أي: زادَ، وضِدُّه: النَّقْصُ[6]، والفَضْلُ: الشَّرَفُ والخيرُ والرِّزْقُ، ورَجُلٌ فاضِلٌ: ذو شَرَفٍ وخيرٍ، والإفْضالُ: الإحسانُ، والفَضائِلُ: خِصالُ الخَيْرِ، ويأتي الفَضْلُ بِمعنى بَقِيَّةِ الشَّيْءِ، والجَمْعُ: أفْضالٌ[7]، والمُرادُ بالفَضلِ في الآية: الزِّيادةُ في العطاء.

❁ المَعْنى الإجْمالِيُّ:

البحر نعمة سخره الله لعباده بما اشتمل عليه من خيرات

يبيِّنُ اللّه سبحانه جانبًا مِن النِّعمِ الَّتي أنعَم بها على عباده، فيقول تعالى: اللّهُ هو الَّذي ذَلَّل لكم البَحرَ - أيُّها النّاسُ - ؛ لِتَسيرَ فيه السُّفُنُ بأمْرِه وإذْنِه وتَيسيرِه؛ لِتَطلُبوا مَعايشَكم وأرزاقَكم الَّتي هي مِن فَضلِ اللّه تعالى عليكم؛ كنَقلِ البَضائِعِ، وصَيدِ الأسماكِ،

(1) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (سخر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بغي).
(3) الراغب، المفردات: (بغي)، والمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 35.
(4) الخليل، العين، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، وابن منظور، لسان العرب: (بغا - بغي).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فضل).
(6) ابن دريد، جمهرة اللغة، والراغب، المفردات: (فضل).
(7) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (فضل).

وغيرِ ذلك، لعَلَّكم تَشكُرونَه سبحانه على نِعَمِه العَظيمةِ الَّتي تَحصُلُ بتَسخيرِه لكم البَحرَ، فتوَحِّدونَه تعالى، وتُطيعونَه فيما أمرَكم به ونهاكم عنه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

مناسبة الفصل في الآية:

جاء قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ على طريق الاستئناف الابتدائيّ، للانتقال من التّذكير بما خلق الله من العوالم وتصاريف أحوالِها من حيث إنَّها آيات باهرة دالَّة على وحدانيَّة الله إلى التّذكير بما سخّر الله للنّاس من المخلوقات وتصاريفها من حيث كانت منافع النّاس تقتضي أن يشكروا خالقَها ومسخّرها لا أن يكفروا به سبحانه ويتوجّهوا إلى عبادة غيره[2].

تسخير المنافع للنّاس يقتضي أن يشكروا مسخّرها لا أن يكفروا به سبحانه

الغرض من الابتداء بالاسم الجليل:

ابتدأت الآية بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ تربيةً للمهابةِ بذكر المنعم العظيم بعظيم آلائه، وللإيذان بعظمة ما سيخبر عنه، وأنَّ تسخير البحر إنّما كان بمقتضى ألوهيَّتِه وعظمتِه.

سبب إيثار التّعبير بأسلوب القصر ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى﴾:

في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ أفاد مجيء المسند والمسند إليه معرفتين القصر في الكلام، ليفيد تقديم الاسم الجليل على الاسم الموصول وصلته تربية المهابة والقصر[3]، وليكون الكلام من قصر الصّفة على الموصوف، بمعنى قصر تسخير البحر بجريان الفلك فيه وابتغاء الفضل والرّزق على الله تعالى، والمعنى لا

لا يسخّر البحر بجري الفلك فيه إلّا الله تعالى

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 78، وابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 82، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 106، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 265.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 335.

(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 420.

يسخّر البحر بجري الفلك فيه إلّا الله تعالى، ففيه إثبات لوحدانيَّة الله وجليل إحسانِه على النّاس، وهذا القصر من قبيل قصر القلبِ بتنزيل المشركين منزلةَ من يظنُّ أنَّ تسخير البحرِ وتسخير ما في السّماوات والأرض إنعامٌ من شركائِهم كقولِه تعالى: ﴿هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ [الرّوم: 40]، فكان هذا القصر إبطالًا لهذا الزّعم[1]، أو يكون قصر قلبٍ على وجهٍ آخر، وهو أنَّه لمّا لم يقم الكافرون بمقتضى حقِّ الاعتراف بتسخير الله تعالى لهم البحرَ، وهو شكرُه تعالى على هذه النّعم العظيمة، فلمّا قابلوها بالكفر أقامهم مقام المنكرين، فأفاد القصر تقريع من يكفر بنعم الله ولا يشكرها.

الغرض من التّعبير بالموصول وصلته:

عبّر بالموصول وصلتِه في قولِه: ﴿ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ للإشعار بعظم هذا التّسخير وتفخيمه، وهو المناسب لمجيء الكلام على طريق القصر مصدَّرًا بالاسم الجليل ﴿ٱللَّهُ﴾.

الإيماء بعظم ماسخّره الله لعباده

نكتة التّعبير بلفظ ﴿سَخَّرَ﴾:

لمّا كان المقام في بيان عظمةِ خلقِ الله تعالى مع انتفاعِ الخلقِ منه عبَّر بالتّسخير الّذي هو سَوْقُ الشّيء الفخم إلى الغرض المختصّ قهرا، فأفادَ التّعبير بقولِه: ﴿سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ الإشعار بعظمة خلقِ البحر وعظمة تسخيرِه، وذلك في انقياده بسهولةٍ ويسرٍ طبعًا مع عدم مقاومةٍ منه، وتسخير الله تعالى البحر هو بتسهيله استعمالَه فيما يرادُ به وإجرائِه على ما يوافق العباد لتحصيل وجوه الانتفاع مذلَّلًا لهم، بأن جعله تعالى أملسَ وأجزاءَ سطحِه متساويةً ويطفو عليه ما يتخلخل كالأخشاب، ولا يمنع الغوص فيه لاستخراج ما فيه[2].

تسخير الله تعالى البحر العظيم بجري الفلك فيه من أعجب آياتِه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 336.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 106، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 70.

دلالة التّعبير بصيغة الماضي في قولِه ﴿سَخَّرَ﴾:

تحقُّق تسخير البحر للعباد وضرورة شكر المسخِّر

لمّا كان الفعل الماضي يدلُّ على وقوع الفعل وحصولِه أفاد التّعبير بقولِه: ﴿سَخَّرَ﴾ حصول تسخير البحر للعباد، ليقتضي المبادرة إلى شكرِ المسخِّر وتوحيدِه.

فائدة اللّام في ﴿لَكُمُ﴾:

سخّر الله تعالى البحرَ للنّاس فيما يحتاجونه دون ما لا حاجة لهم فيه

اللّام في قولِه ﴿لَكُمُ﴾ للاختصاص وتفيد النّفعَ؛ لأنَّ المقامَ مقام امتنان، بمعنى أنَّه تعالى خصَّكم بتسخير البحر، فتسخيره لأجلِكم ولمنفعتكم، ولمّا كانت اللّام تفيد النّفع أشعر بأنَّه تعالى سخّر لهم ما يحتاجونه دون ما لاحاجة لهم به.

سرُّ التّعبير بضمير الخطاب ﴿لَكُمُ﴾:

من عظيم تسخير الله للبحر أنَّ تسخيره قد بلغَ من التّيسير إلى حيث يمتنع أن يُختصَّ به ناسٌ دون آخرين

يعود الضّمير في قولِه ﴿لَكُمُ﴾ على جميع المخاطبين، وحقُّ الخطاب أن يكون مع مخاطبٍ معيَّن؛ لأنَّ معنى الخطاب هو توجيه الكلام إلى حاضرٍ، وهو لا يكون إلّا شاهدًا معيَّنًا، لكنَّه ترك هنا إلى غير معيَّن ليشمل جميع المخاطبين بالقرآن، فلا يُقصدُ بالكلامِ أن يختصَّ تسخير البحر بجمعٍ دون جمعٍ، وإنّما يُقصَد إلى أنَّ تسخيره قد بلغَ من التّيسير إلى حيث يمتنع أن يختصَّ به ناسٌ دون آخرين؛ بل كلُّ من يتأتّى منه ركوب البحر أو ينتفع منه فله مدخل في هذا الخطاب، كما أنَّ ذكر الإنعام والإحسان في مقام المخاطبة أبلغَ وأكثرَ تأثيرًا.

فائدة تقديم الجارّ والمجرور ﴿لَكُمُ﴾:

قدِّمَ الجارّ والمجرور ﴿لَكُمُ﴾ على المفعول به في قولِه: ﴿سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ لبيان عظم هذه النّعمة على العباد، ففي التّقديم عناية بالمخاطبين.

فائدة في اللّام ﴿لِتَجْرِيَ﴾:

اللّام في ﴿لِتَجْرِيَ﴾ هي لام التّعليل، ودخول اللّام على الفعل

يفيد أنَّ الفلك ما كانت تجري في البحر لولا أنَّ الله تعالى سخّرها لتجري، ولو قيل: وسخّر لكم البحر أن تجري؛ لأفاد أنَّها كانت تجري قبل التّسخير، ولو قيل: وسخّر لكم البحر لأن تجري لاحتمل المعنيين[1]، فلمّا قال: ﴿سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ﴾ صار نصًّا في أنَّ الفلك لم تكن تجري لولا تسخير الله البحر لهذا الأمر.

الفلك لم تكن تجري لولا تسخير الله البحر لهذا الأمر

دلالة التّعبير بالمضارع في ﴿لِتَجۡرِيَ﴾:

عبّر بصيغة المضارع في الفعل ﴿لِتَجۡرِيَ﴾؛ للإشعار باستمرار جري الفلك في البحر وتجدّده في كلِّ الأوقات.

مناسبة الفصل في قولِه: ﴿لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ﴾:

جاءت جملة: ﴿لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ﴾ بطريق الفصل لأنَّها بدل اشتمال من الإجمال في قولِه ﴿لَكُمُ﴾[2]، وبيانُه أنَّه لمّا قال: ﴿سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ كان المعنى على الإجمال، ثمَّ فصّله في قولِه: ﴿لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ﴾ وما عطف عليه، ومناسبة مجيء التّفصيل بعد الإجمال هو أنَّه لمّا كان تسخير البحر للنّاس أمرًا عجيبا فخمًا وكان يستدعي إيضاحًا وبيانًا - لأنَّ المقام مقام امتنان - فصَّل الإجمال ببدل الاشتمال لمزيد الاعتناء بشأنِه وللتّنبيه على موضع التّسخير، كما أنّ في مجي الكلام على طريق الإجمال ثمَّ التّفصيل تاكيدًا للامتنان ومبالغة فيه.

في مجي الكلام على طريق الإجمال ثمَّ التفصيل تأكيدٌ للامتنان ومبالغة فيه

فائدة (أل) في ﴿ٱلۡفُلۡكُ﴾:

(أل) في قولِه ﴿ٱلۡفُلۡكُ﴾ للجنس، بمعنى جنس الفلك ولا يُقصَد به فلكًا معيَّنًا؛ لأنَّ الامتنان على عموم العباد إلى قيام السّاعة، ولمّا كان سياق الامتنان يقتضي أن يكون المعنى لتجري الفلك فيه وأنتم راكبوها[3] فلا حاجةَ إلى القول بأنَّ (أل) عوض عن الضمير

عظيم الامتنان بعموم الفلك

(1) السامرائي، معاني النّحو: 3/ 354.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 336.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 142.

المحذوف، كما في قوله تعالى ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾ [النازعات: 41]، أي: هي مأواه[1].

فائدة (في):

تمكّن الفلك في البحر بتسخير الله

حرف الجرِّ (في) للظرفيَّة المكانيَّة، وعبّر بـ(في) دون أن يقولك: (لتجري الفلك عليه) للإيماء إلى تمكّن الفلك في البحر بتسخير الله تعالى، وفيه إشارة إلى أنَّ بعض الفلك يغوص في داخل البحر، فيكون البحر ظرفًا له.

الغرض من تقديم ﴿فِيهِ﴾ على الحال:

تسخير البحر للعباد وجري الفلك فيه كلاهما بأمر الله تعالى

قدِّمَ حرف الجرِّ ﴿فِيهِ﴾ على الجارّ والمجرور ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾ الّذي هو في موضع الحالِ؛ لبيان أنَّ هذه الصّورة كاملةٌ - أيّ: جري الفلك في البحر - هي حال كونِه بأمرِه، فالحالُ ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾ متعلِّقٌ بمجموع قولِه: ﴿لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ﴾ كما أنّه لمّا كان قوله: ﴿لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ﴾ بدل اشتمال من قوله: ﴿لَكُمُ﴾ كان التّقييد بالحال جاريًا على البدل والمبدل منه، بمعنى أنَّ تسخير البحر لكم وجري الفلك فيه كلاهما بأمرِه تعالى.

فائدة الباء:

لولا أمر الله تعالى لَما جرى الفلك في البحر

الباء في قوله: ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾ للملابسة، بمعنى أنَّ جريَ الفلك في البحر ملابسٌ لأمرِه تعالى، وتحتمل أن تكون الباء للإلصاق، بمعنى لصوق أمره تعالى بجري الفلك في البحر، أي: إنَّ جري الفلك ملاصق لأمر الله لا ينفكُّ عنه لا يفارقه.

دلالة لفظ ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾:

الأمر بمعنى الإذن والقدرة معًا

يحتمل لفظ الأمر في قوله: ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾ أن يكون بمعنى تسخيرِه وتكوينِه، ويحتمل أن يكون بمعنى بإذنِه[2]، ويحتمل أن يكون جامعا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 336.

(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 219، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 106، وابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 304، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 142، وصديق حسن خان، فتح البيان: 12/ 421.

بين القدرة والإذن[1]، أي: بقدرتِه وتسخيرِه وبإذنِه، والسّياق يدلُّ عليه، وبهذا يتبيّن سبب العدول عن أن يقال: لتجري الفلك فيه بإذنه أو بقدرتِه، فجمع في لفظ واحد معنيين مقصودين.

مناسبة العطف في قوله ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾:

كـلُّ أنـواع السّفر في البحر كـالسّـياحـة والـتّـجـارة وغيرهما هو من تسخيرِه تعالى للبحر

لمّا كان جريان الفلك في البحر يشتمل على كثير من المنافع عطف عليه قوله: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ لتفصيل النّعم، فَحَصَلَ مِنْ مَجْموعِ المعطوف والمعطوف عليه أنَّ تسخير البحر لجري الفلك فيه للسّفر لقضاء الحاجات وبلوغ الغايات حتَّى السّياحة في البحر والتّنزُّه وزيارة الأهل.

نكتة تكرار لام التّعليل في ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾:

تكثير الامتنان لمقتضى السّياق

لم يقل: (وتبتغوا من فضلِه) ليكون الفعل معطوفًا على الفعل في ﴿لِتَجْرِيَ﴾، لكنّه أعاد ذكر لام التّعليل مع الفعل فقال: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾، والنّكتة في الأمر هي الإشعار باستقلال كلِّ نعمةٍ، فجعل نعمة ابتغاء فضل الله في البحر بالتّجارة والغوص والصّيد وغيرها مستقلّة عن نعمة ركوب الفلك فيه؛ لأنّ العباد يفرحون بتحصيل الأرزاق وينعمون بها، فأفاد إعادة لام التّعليل تكثير النّعم والمبالغة فيها، والسّياق يقتضيه، وعبّر بصيغة المضارع في قولِه: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾ للإشعار باستمرار ابتغاء النّاس وتجدُّده وقتًا فوقتًا.

فائدة ﴿مِن﴾:

ابتغاء الفضل من الله الواسع

حرف الجرِّ ﴿مِن﴾ في قولِه ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ للتّبعيض، بمعنى لتبتغوا من بعض فضلِه، إشعارًا بعموم فضلِه سبحانه، وأنَّه مهما ابتغيتم وحصّلتم من الأرزاق فما هو إلّا بعض فضلِه ورزقِه.

فائدة الإضافة:

الإضافة في قوله ﴿فَضْلِهِۦ﴾ على معنى الاختصاص، بمعنى

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 82.

لا رزقَ يُبتغى ويُتحصَّل إلّا من الله تعالى

الفضل الّذي هو مختصٌّ بالله تعالى، ولمّا قيّد الابتغاء بكونِه من فضلِ الله تعالى أفاد أنّ لا رزقَ يُبتغى ويُتحصَّل إلّا من الله تعالى.

سرُّ العطف بالواو في قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

من مقاصد تسخير الفلك قيام العباد بواجب الشّكر على هذه النّعمة العظيمة العامّة

لمّا عطف ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ على ﴿لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾ أفاد أنَّ الغاية من تسخير الله تعالى الفلك للعباد حصول منفعة ركوبِهم وابتغاء فضل الله، ومن غايات تسخير الفلك ومقاصده قيام العباد بواجب الشّكر على هذه النّعمة العظيمة العامّة؛ ليفيدَ أنَّ شكر العباد للمنعِم المسخِّر مقصود من تسخير الفلك كما أنَّ جريانها في البحر وابتغاء فضله تعالى مقصودان كذلك، كما أنَّ في عطف ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ على ما فيه منافع العباد المهمّة إيماءً إلى أنَّ في شكرِه تعالى منافعَ عظيمة دنيويَّة وأخرويَّة، فإنَّ العطف يقتضي المناسبة بين المعطوفات، فالجامع هنا هو جامع خياليٌّ لِما بين هذه المعطوفات الثّلاثة من تعانق في المنافع، فإنَّ مجرى الإلف والعادة أن يكون شكرُ المنعَم عليهم للمنعِم عائدا عليهم بالنّفع والفائدة.

الغرض من التّعبير بأسلوب التّرجّي:

من تفكّر في نعمة تسخير البحر يُرجى له أن يشكر اللهَ المنعِمَ عليه وعلى النّاس

عبّر بأسلوب التّرجي في قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ للإيماء إلى أنَّ من تفكّر في هذه النّعم يُرجى له أن يشكر اللّهَ المنعِمَ عليه، ويُتوقَّعُ منه ذلك، بمعنى أنَّ العباد إن نظروا في هذه النّعم العظيمة العجيبة فهم في صورة المرجوِّ منهم أن يشكروا، فإنَّ الإنعام يوجب الشّكر، وذهب بعض المفسّرين إلى أنَّ (لَعَلَّ) بمعنى كي، والتّقدير: ولكي تشكروا النِّعم الّتي تحصل لكم بتسخير الله تعالى للبحر[1]، وفي العدول عن لام التّعليل إلى حرف التّرجّي (لَعَلَّ) المنبئ عن أنَّ احتمال حصول المرجوِّ أمرٌ لطيف، فإنَّ فيه إشعارًا بأنَّ من العباد من يشكر، وفيهم من يتمادى ويكفر، بما في (لَعَلَّ) من الإبهام

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 420، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 70.

المشعر بالقسمين، والمهيئ لإمكان ظهور الفريقين[1]، ففيه إيماءٌ إلى أنَّ شكرَ العباد مع ظهور النّعم وكثرتِها وعظمتِها أمرٌ يتطرّقه احتمال التّخلّف، وهذا هو السّبب في العدول عن لام التّعليل إلى كلمة التّرجّي في قولِه تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ في جميع القرآن، كما أنَّ في صيغة التّرجّي حثًّا على الشّكر وإظهارًا له في صورة الأمر القريب الحصول.

دلالة التّعبير بالمضارع ﴿تَشْكُرُونَ﴾:

الإيماء لاستمرار شكر الله على آلائه

عبّر بصيغة المضارع في قوله: ﴿تَشْكُرُونَ﴾ للإشعار بطلب استمرار شكر الله على نعمه وطلب تجدّده حالًا فحالًا.

دلالة حذف مفعول الفعل ﴿تَشْكُرُونَ﴾:

الحثُّ على أن يبقى العبد في مقام الشّكر يتقلَّب فيه

حذف مفعول الفعل ﴿تَشْكُرُونَ﴾ لقصد التَّعميم، بمعنى لعلَّكم تشكرون النّعم التي أنعمها الله عليكم، فلا يزال العبد في مقام الشّكر يتقلَّب فيه، ويحتمل أن يكون لقصد تنزيل الفعل المتعدّي ﴿تَشْكُرُونَ﴾ منزلة اللّازم؛ لأنَّ القصد تحصيل نفس الفعل، والاتّصاف بوصف الشّكر، بحيث يكون الشّكر وصفًا ملازمًا له، ولأنَّ مناط سَوْق الكلام هو للحثِّ على الشّكر وترك الكفر فكان المعنى: لعلَّكم لا يأتي منكم إلّا الشّكر، فيكون دفعًا للكفرِ، كما أنَّ في حذف المفعول رعاية للفاصلة ورؤوس الآي.

(1) الحرالي، تراث أبي الحسن الحرالي، ص: 216.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"